# المؤثرات التي طرأت على النزاع الإسرائيلي الفلسطيني

في اعقاب حرب الخليج نشط الضغط الامريكي المتواصل وتفكك الاتحاد السوفياتي والميول في الرأي العام العالمي ادت هذه العوامل الى الدعوة الى المفاوضات الرامية الى تسوية للقضية الفلسطينية المزمنة وفي الاعوام ١٩٩٣ و ١٩٩٥ وقعت منظمة التحرير الفسطينية مع اسرائيل اعلان اوسلو للمباديء واتفاقية اوسلو المرحلية . . مما ادي الى السماح بإقامة سلطة فلسطينية يفترض ان تكون كيانا مؤقتا يملك صلاحية التفاوض مع اسرائيل وحكم المناطق التي قد تنسحب منها اسرائيل في كل من الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة .

هذه الاتفاقيات التي وقعت بين ياسر عرفات واسرائيل والتي عرفت باتفاقات اوسلو ادت الى سماح اسرائيل بدخول ياسر عرفات واعضاء من حركته الفتحاوية الى فلسطين واقام عرفات في غزة كما ادت الي ايجاد شرخ في الوضع الفلسطيني حيث ان حركة فتح وهي التي تسيطر على منظمة التحرير انفردت في التوقيع على اتفاقية اوسلو مما جعل الفصائل الفلسطينية الاخرى التي تشكل منظمة التحرير الفلسطينية لا تقبل بتلك لاتفاقية الاسرائيلية الفتحاوية . . . وكانت اسرائيل تهدف من توقيع تلك الاتفاقية الى وقف اعمال العنف في الاراضي المحتلة خصوصا الانتفاضة الفلسطينية التي لم تكن قادرة على وقفها وقد رأت بأن حركة فتح تستطيع وقف الانتفاضة الفلسطينية وان تمنع اعمال العنف ضد اسرائيل . استطاعت حركة فتح فعلا ان توقف الانتفاضة الفلسطينية غير انها لم تتمكن من وقف اعمال العنف ضد الاحتلال . . برغم ان قوات الاحتلال قامت بانسحابات جزئية من داخل المدن الفلسطينية وبقيت تحاصر تلك المدن من خارجها . . . اما المساحة التي بقيت تحت ادارة حركة فتح فقد كانت حوالي ٨% من الارض الفلسطينية . . استمرت اعمال العنف ضد الاحتلال الاسرائيلي برغم ما فعله عرفات وحركته للسيطرة على الموقف ووقف تلك الاعمال بموجب الاتفاقية الموقعة بينه وبين اسرائيل . . . وكان عرفات قد لجأ الى اسلوب الخطابة الشعبية في الفلسطينيين على غرار خطابات الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر ظنا منه ان ذلك الاسلوب يجعل الجماهير الفلسطينية تلتف حوله فقد بدأ في تقليد شخصية عبد الناصر وحتى اسلوبه في الخطابة العشوائية الخالية من المنطق ومن قواعد اللغة العربية . . . وقد فاته ان خطابات الرئيس عبد الناصر الملهبة جاءت في وقت كانت الشعوب العربية تتطلع فيه الى مخلص يخلصها من الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية عام ١٩٤٨ في فلسطين . . فعبد الناصر الذي جاء نتيجة انقلاب عسكري في مصر والغى الملكية واعلن مصر جمهورية جعله رمزا سياسيا ليس للشعب العربي في مصر فحسب بل لكافة الشعوب

العربية وبقي يتربع على هذا العرش دون منازع الى عام ١٩٦٧ حيث حلت الهزيمة الكبرى بالامة العربية ولم يعد عبد الناصر ذلك الرمز المقدس لدي الكثيرين في مصر وفي البلدان العربية الاخرى . . . لهذا لم يعد اسلوب الخطابة الشعبية ملفتا للانظار كما كان في الفترة التي سبقت عام ١٩٦٧ ولم يتمكن عرفات من تقمص شخصية عبد الناصر على الاطلاق برغم محاولاته الجادة . . .لهذا استمرت اعمال المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي واصبح الشعب الفلسطيني يقاتل على جبهتين الجبهة الاسرائيلية ويقاوم السياسة القمعية والتعسفية التي استعملتها السلطة الفلسطينية ضد الشعب الفلسطيني في الداخل . . وقد بلغت اجراءات السلطة الى درجة ان السجون الفلسطينية امتلأت بالشباب . . . وفي منطقة غزة اشتد الخلاف بين السلطة الفلسطينية وبين فصائل المقاومة وفي مقدمها حركة حماس الاسلامية ادت بالتالي الى ياسر عرفات ترك غزة والاقامة في مبنى مقاطعة رام الله . .وبعدها فرضت اسرائيل على عرفات الاقامة الجبرية في مبنى المقاطعة في رام الله وكانت طريقة لم يسبق ان استعملت من قبل مما جعل الكثير من الفلسطنيين يعتقدون ان الرئيس عرفات رهن الاعتقال الاسرائيلي . . وبقي عرفات عبئا على اسرائيل الى ان تخلصت منه بدس السم له في الطعام وانتهت اسطورة عرفات . . . واستبدل بشخصية كان واحدا من مهندسي اتفاقية اوسلوا اللعينة وهو محمود عباس . . . رئيس السلطة الفلسطينية المنتهية ولايته منذ زمن بعيد ولكنه لا زال متمسكا بالكرسي وتقوم اسرائيل بحمايته وحماية سلطته من الشعب الفلسطيني في الداخل .

بتاريخ ٥ تشرين الثاني عام ١٩٩٥ اغتيل رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين على يد متعصب يهودي اسمه إيغال عامير وذلك اثناء مسيرة تدعو الى السلام . . ولما وجهت المحكمة سؤالا لعامير لماذا قام باغتيال رئيس الورزاء الاسرائيلي اجاب بكل صراحة ان "رابين " كان يدعو للسلام مع العرب وانه ينوي اعادة القدس الشرقية للفلسطينيين واعادة مرتفاعات الجولان السورية الى السوريين وهذا يعني انه يعجل في حدوث حرب "الارمغادون" الوارد ذكرها في التوراة وتهزم فيها اسرائيل " واضاف قمت بقتل رابين من اجل تأخير وقوع تلك الحرب اللعينة وتأجيل هزيمة اسرائيل . . .حل محل اسحق رابين شمعون بيريز الذي اشرف على توقيع اتفاقية اوسلو غير ان تزايد التفجيرات الاستشهادية التي قامت بها حركة حماس داخل الخط الاخضر ادى بالتالي الى خسارة حكومة العمل برئاسة شمعون بيريز في الانخابات في ايار ١٩٩٦ وتولى بنيامين نتنياهو من حزب الليكود رئاسة الوزارة الاسرئيلية الذي كان من اشد معارضي اوسلو . . وفور توليه السلطة في اسرائيل قام نتنياهو بمحاولة اتمام مشروع

سماه مشروعا سياحيا تحت الارض في القدس الامر الذي اثار جدلا واسعا وكان المشروع الاسرائيلي عبارة عن فتح بوابة تصل بين نفقين ، وكان الهدف من ذلك ان هذه البوابة تعرض اساسات المسجد الاقصى للخطر وهذا ما سبب عنفا استمر عدة ايام وكانت حصيلته اصابات كثيرة بين الفلسطينيين . . . وبرغم معارضة نتنياهو لعملية اوسلو وقعت اسرائيل مع السلطة الفلسطينية في كانون الثاني ١٩٩٧ اتفاقية انتقالية بشأن مدينة الخليل . . انسحب بموجبها الجيش الاسرائيلي من بعض اجزاء مدينة الخليل وبقي خارج المدينة يحيط بها من كل جانب كما بقي في جزء من المدينة يضم حوالي ٥٠٠ مستوطن يهودي يعيشون وسط المدينة الفلسطينية تحت الحماية الاسرائيلية . . . ثم نتجت عن مفاوضات " واي ريفر " في تشرين الاول ١٩٩٨ اتفاقيات نصت على مزيد من الانسحابات الاسرائيلية الى جانب تجديد الالتزام الفلسطيني بمنع ما تسميه اسرائيل وحركة فتح الارهاب الفلسطيني ولكن احكام هذه الاتفاقيات لم تطبق من قبل اسرائيل حيث ان حركة فتح لم تتمكن من منع المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي كما ان قوات الاحتلال لم تنسحب من المناطق التي نصت عنها تلك الاتفاقيات . . اي انها كانت اتفاقات حبر على ورق . . في أيار ١٩٩٩ خسر نتنياهو الانتخابات فغادر منصبه وتولى رئاسة الوزراء رئيس حزب العمل "إيهود باراك " . . . وواصل باراك برامج الاستيطان لكنه تعهد بمواصلة المفاوضات السلمية بنشاط . . حاول باراك في البداية تجديد المفاوضات مع سورية ، لكن الرئيس السوري حافظ الاسد رفض عرض قدم اليه من خلال الرئيس الامريكي كلينتون ، وكان من شأن هذا العرض ان تتنازل اسرائيل عن جزء من مرتفعات الجولان بدون اي منفذ على بحيرة طبريا . تحول بعد ذلك اهتمام باراك بالفلسطينيين واعلن انه سوف ينفذ احكام اتفاقات واي ريفر بسحب القوات الاسرائيلية العسكرية المنصوص عنها في الاتفاقية وبدأت المفاوضات حول ما يسمى التسوية النهائية . . . عرضت اسرائيل اعادة قرية ابو ديس وهي احدى ضواحي مدينة القدس لتكون عاصمة فلسطينية، غير ان الحكومة الاسرائيلية عادت وسحبت هذا العرض نظرا لاندلاع الانتفاضة الثانية (انتفاضة الاقصى ) عام ٢٠٠٠ انتهت مفاوضات الحل النهائي في كامب ديفيد بالولايات المتحدة الامريكية الى حالة استعصاء في تموز ٢٠٠٠ حيث اصر الفلسطينيون على حق اللاجئين في العودة الى اسرائيل . . واعتبرت اسرائيل ان هذا من شأنه ايجاد اغلبية عربية فيها . . فاصروا على ضم اجزاء رئيسية من المناطق الفلسطينية وعلى الابقاء على القسم الأكبر من المستوطنات . . ولم يعرضوا الا صيغة محدودة للدولة الفلسطينية . . . واعتبر الفلسطينيون ان العروض التي تم تقديمها في كامب ديفيد لا تتضمن الاكانتونات او مناطق عزل (غيتو)

تتشكل منها الدولة الفلسطينية . . ولكن دينس روس المبعوث الامريكي للسلام قدم في كتابه " السلام المفقود " الصادر عام ٢٠٠٤ خريطة يفترض انها تعكس الاقتراح التوفيقي الذي طرحه الامريكيون في كامب ديفيد .

انطلقت شرارة العنف في ٢٨ ايلول ٢٠٠٠ على اثر زيارة اريبل شارون الى جبل الهيكل في القدس ودخولة الى الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى متحديا ارادة الشعب الفلسطيني . . وهذا الموقع هو اسمه " الحرم الشريف في اللغة العربية ويضم المسجد الاقصى المقدس عند المسلمين وكان دخول شارون الى هذا الموقع الفلسطيني المقدس اسهم في اذكاء لهيب الاضطرابات . . وعلى اثرها دعت الولايات المتحدة الى مؤتمر قمة في شرم الشيخ في شهر تشرين الاول من اجل انهاء حالة العنف التي سادت البلاد . . . بات الوقت ضيقا امام المفاوضات مع مواجهة رئيس الوزراء الاسرائيلي إيهود باراك انتخابات وشيكة في اسرائيل ومع اتمام الرئيس الامريكي فترة ولايته الرئاسية وفشل المفاوضات التي جرت في واشنطن في كانون الاول ٢٠٠٠ في الوصول الى اي اتفاق . . طرح الرئيس كلنتون مقترحات لردم الهوة بين الطرفين وطلب موافقة الطرفين عليها بحلول ٢٧ كانون الاول عام ٢٠٠٠ . . وقام كثيرون بالتعتيم على النتائج لكن المفاوض الامريكي الرئيسي " دينيس روس " كان واضحا في كتابه ( السلام المفقود ) والذي صدر عام ٢٠٠٤ وجاء في صفحة ٧٥٣ – ٧٥٥ الخلاصة التي قدمها روس " ان اقتراح كلينتون منح الفلسطينيين نحو ٩٧% من اراضي الضفة الغربية اضافة الى السيادة على مجالهم الجوي . . اما اللاجئون الفلسطينيون لا يستطيعون العودة الى اسرائيل دون موافقة اسرائيلية . . . على ان ترابط قوة دولية في وادي الاردن لمدة ست سنوات وتحل محل الجيش الاسرائيلي وتكون المناطق المجاورة للقدس والحرم الشريف ضمن الدولة الفلسطينية . . اجتمعت الحكومة الاسرايلية في ٢٧ كانون الاول ووافقت على اقتراحات كلينتون مع ابداء تحفظات حيالها وصفها " روس " بأنها تحفظات ضمن الحدود المقبولة . . وهنا اود ان اشير الى ان الاسرائليين منذ اقدم عصور التاريخ قد برعوا في اتباع سياسة الذرائع ( سياسة البرغماتية) فعندما يجدوا انفسهم محرجين في اي موضوع يوافقون عليه دون تردد ولكن يقاوموه عمليا ولا يطبقوه على ارض الواقع . . . انما تأتي موافقاتهم بسبب عدم اثارة الاخرين عليهم خاصة الرأي العام .

الفلسطينيون لم يقدموا اجابة في الموعد المحدد ولم يأت الرد الفلسطيني ابدا . . وفي هذا يقول " دينيس روس " انه قال لابي العلاء ( احمد قريع ) في ٢٩ كانون الاول : سجل كلماتي . . . ستنفض الولايات المتحدة يدها من الامر ، وسيكون ذلك في وقت لا يعود فيه باراك وامنون او شلومو موجودين بل في وقت يصبح فيه شارون رئيسا للوزراء

. . سوف ينتخب شارون بكل تأكيد اذا لم يتم التوصل الى اتفاق وستنخفض الـ ٩٧% الى ٤٠% وستخسرون فرصة اقامة عاصمتكم في القدس الشرقية . . ولن يترك الجيش الاسرائيلي وادي الاردن وسيكون حق اللاجئين غير المقيد في العودة الى دولتكم قد ذهب ادراج الرياح" أجابه ابو العلاء " اخشى ان يتطلب الامر خمسين سنة اخرى لتسوية هذا الامر " وفي حفل عشاء اقيم في تشرين الثاني عام ٢٠٠٥ في ذكرى رحيل اسحق رابين قال الرئيس كلنتون " ان الرئيس ياسر عرفات ارتكب خطيئة تاريخية جسيمة عندما رفض اقتراحاته وتسبب في انهيار عملية السلام " الا انه في ١٣ تشرين الثاني قال وزير الاعلام الفلسطيني آنذاك ( الدكتور نبيل شعث ) " ان اسرائيل لا تريد ابدا ان تصل على الحل النهائي خلال المرحلة الثانية من مفاوضات كامب ديفيد وهذا ما اسكت الشائعات القائلة بأن اسرائيل عرضت على الفلسطينيين ٩٧% من الضفة الغربية و١٠% من وادي الاردن . . واما كل ما قيل ان اسرائيل قدمت للفلسطينيين تنازلات كبيرة فهذا غير صحيح " واكد شعث ان اسرائيل رفضت اعادة القدس الى الفلسطينيين بل هي فوق ذلك مصّرة على ضم الكتل الاستيطانية الى مدينة القدس . . . واوضح بأن هذه النقطة هي ما اوصل مفاوضات كامب ديفيد الثانية الى حالة استعصاء . . . وان ما اقترحه رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق إيهود باراك لم يكن سوى إعطاء عرفات مقرا رئاسيا في القدس القديمة .

وفي مفاوضات ما يسمى بمفاوضات اللحظة الاخيرة التي جرت في طابا المصرية بين ٢٢ – ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠١ برعاية اوروبية ومصرية ، فشل الجانبان في التوصل الى تسوية ورغم اتفاق الجانبين على اعلان مشترك يقول انهما اقتربا من الاتفاق اقترابا لا سابق له فأن عدم الاتفاق الملموس بشأن موضوع اللاجئين وخرائط الاستيطان النهائية ظل قائما . . قطع باراك المفاوضات يوم ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠١ وعلقها حتى ما بعد الانتخابات . . وكان باراك يأمل التوصل الى صفقة يستطيع تقديمها الى الجمهور الاسرائيلي ولكن اصابه الغضب وخيبة الامل لعدم التوصل اليها . . . لقد انتهت المفاوضات لأن باراك الذي قيل انه دفع العملية السلمية الى الامام خسر الانتخابات في بداية شهر شباط وحل محله رئيس الحكومة اليميني أرييل شارون .

لم يجر فعليا خلال المفاوضات تقديم اي خرائط رسمية من الجانبين او من قبل الجانبين وبعد فشل المفاوضات اكد الفلسطينيون بأن اسرائيل لم تعرض عليهم الا " معازل " في الضفة الغربية ولم تنشر الحكومة الاسرائيلية اي خرائط . . . اما دينيس روس الذي ترأس الفريق الامريكي المفاوض فقد لخص المقترحات التي قدمتها الولايات المتحدة وقامت ايضا كل من مجموعة غوش شالوم ومؤسسة السلام في الشرق الاوسط بنشر خريطة لهذا العرض الذي

قدمته حكومة باراك في طابا . . وقد كانت مسألة اللاجئين احد الاسئلة الرئيسية البارزة . . وكان الرئيس كلنتون يظن ان المسألة لا تتعدى فوارق في الصياغة بين الطرحين الاسرائيلي والفلسطيني . . . ولقد دعت اقتراحاته الرامية الى ردم الهوة الى السماح للفلسطينيين بالعودة من الخارج الى الدولة الفلسطينية ولا يكون بوسعهم ان يعودوا الى اسرائيل الابموافقة الحكومة الاسرائيلية . . . لكن الاقتراح الفلسطيني في طابا دعا الى عودة نهائية لجميع اللاجئين الى إسرائيل . . لكن هذا الاقتراح ما كان مقبولا لدى الاسرائيليين لأن من شأنه ان يخلق اغلبية عربية فيها وان يضع نهاية لممارسة اليهود حق تقرير المصير كما يقول الاسرائيليون .

تواصلت المقاومة الفلسطينية في عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ رغم محاولات لجنة ميتشل وغيرها استعادة الهدوء وقد كانت الهجمات التي استهدفت مركز التجارة العالمية في الولايات المتحدة يوم ١١ ايلول ٢٠٠١ وبيلة مباشرة على النزاع الاسرائيلي الفلسطيني . . فمن جهة اولى حاولت البلدان العربية والاسلامية الاستفادة من الحاجة الى تعاونها في الحرب على الارهاب بغية انتزاع تنازلات لصالح الفلسطينيين ومن جهة ثانية ، بدأ كثير من الامريكيين في النظر الى الاعمال الارهابية في ضوء جديد عندما بدأ الربط بين منظمات مثل حماس وحزب الله اللبناني وبين جماعة القاعدة بزعامة اسامه بن لادن . . واما ما كان له اثر مؤذ متميز على الفلسطينيين هو التظاهرات التي خرجت تأييدا لابن لادن والأدلة التي ربطت بين سفينة اعترضتها اسرائيل (اسمها كارين ) كانت تحمل اسلحة مهربة وبين الدعم الايراني المقدم الى حركة حماس . . تم اعتراض هذه السفينة يوم ٣ كانون الثاني ٢٠٠٢ وهو يوم وصول المبعوث الامريكي انتوني زيني من اجل محاولة التوصل الى تسوية وعلى ضوء هذه الصورة بدا ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي يمنحان اسرائيل مجالا اوسع للتحرك ضد الفلسطينيين . . فقامت اسرائيل بتنفيذ اقتحامات متزايدة في المناطق الفلسطينية وحاصرت الرئيس ياسر عرفات في المجمع الرئاسي في رام الله . . غير ان الفلسطينيين قاموا بتصعيد هجماتهم ضد الجنود الاسرائيليين اضافة الى تصعيد العمليات الاستشهادية داخل الخط الاخضر في اسرائيل .